

## استشراف مستقبل الأسرة في عالم مضطرب



قال الإمام علي<sup>ع</sup>: "إذا لم تجتمع القرابة على ثلاثة أشياء تعرّضوا لدخول الوهن عليهم وشماتة الأعداء بهم وهي: ترك الحسد فيما بينهم، لئلا يتحزّبوا فيتشتت أمرهم، والتوacial ليكون ذلك حادياً لهم على الألفة، والتعاون لتشملهم العزة".

لا شك أنَّ الأسرة التي تتشكّل في ضوء علاقة النسب والمصاهرة والزواج كانت وما زالت هي المصنع الأساس لتكوين علاقات القرابة والنسب، وهي العلاقات الأساسية التي تقوم بعدها الربط بين أفراد المجتمع الواحد، في مقابل الأسباب الأخرى التي تقوم بعدها الربط في دائرة العلاقات الأخرى خارج دائرة القرابة، وقد تمَّ التآمر على الدوام على العائلة أو الأسرة ومحاولتها تدميرها بوصفها تحقق ترا بطات تسطد مع مصالح أصحاب السلطة والراغبين في الهيمنة، وهو ترابط لأهميَّته وحضوره تعرّض له القرآن الكريم محذراً من المساس به فقال تعالى: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّ يَتَّمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْجَامَكُمْ) (محمد/ 22).

والبيوم تتعرض الأسرة (الوحدة الأولى للترابط البشري) إلى تهميش وتغريب - ولا يهمنا أن يكون مقصوداً أو غير مقصود - ربّما سيدهب بكلٍّ ما تبقى لها من فاعلية وحضور طوال عشرات الآلاف من السنين في تاريخ البشرية، ويتم هذا العمل عبر ثلاث مسارات متوازية:

المسار الأول: تحريف معنى الأمومة: وهو المعنى الذي طاله الكثير من التشويه، وما يخفيه له المستقبل أكثر، إذ يقول جاك أتالي في "معجم القرن 21" ص 26: (من موضوع عمل، ستصبح الأمومة أداء استهلاك. ستغرب كلَّ امرأة بإمكانية الحصول على ولد على هواها، ومع من نشاء، لا بل وحدها، مثلما نشتري شيئاً: عند ذاك نودّ أن ننجي، ليس كما ننتج، بل كما نستهلك، وتغدو الأمومة عملاً فردياً، أنا نياً، وحتى في حدّه الأقصى، استمنا نياً)، وفي ظل ما ستفرزه التقنيات الحديثة من علاقة مصنّعة

بين الأُم وأولادها عبر عمليات التخزين والاستنساخ ستتعرّض للتتشويه أقدس علاقة إنسانية على الإطلاق، وهو ما يفصح عنه "جاك أتالي" بقوله: (وقد يسود الاعتقاد بأنَّ الأولاد الذين يولدون بهذه الطريقة، ستكون أُمّاً ومتهم أكثر حناناً ورعاً يةً). لكن لا شيء من ذلك سيتحقق، لأنَّه إذا بات الحصول على الأولاد سهلاً وتجريدياً، فسيعلمون مثل أدوات استهلاكية أو حيوانات منزليَة لا تلبي أنَّ نملَّ منهم ونتخلَّ عنهم للماوي المختومة أو نرميهم على جوانب الطُّرقات قبل الذهاب إلى العطلة).

المسار الثاني: إلغاء الدور الأبوي: في خضم التحوّلات المعرفية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية الكبرى التي ما فتأت المجتمعات الأوروبيَّة تشهدها منذ القرن الخامس عشر الميلادي تمَّ طمس معالم الدور الأبوي، واعتبرت الهيمنة الأبويَّة (الذكورية) عائقاً أمام تطوير المجتمع، وبموازاة الإعلان عن "موت الأبا" تم الإعلان عن موت الأب في هذه المجتمعات (وإذا كانت الطبيعة تصنع الأُمّهات، فإنَّ المجتمع هو الذي يصنع الآباء، وشينَاً فشينَاً يدمِّرهم).

المسار الثالث: تغيير طبيعة ووظيفة العلاقات الجنسيَّة: وهو الأمر الذي يلقي عليه ضوءاً "جاك أتالي" بقوله: (سينفصل الجنس تدريجياً عن عملية الإنجاب حالما تصبح الحبة الذكورية متوافرة) (سيتيح الاستنساخ الحصول على أولاد من دون شريك جنسي؛ وسيكون المستنساخ عندئذٍ شقيق والده أو والدته)، والنتيجة.. تفكك الأسرة بل دمارها وضياعها، إذ كما يقول "جاك أتالي": (هي المؤسسة الأشد تقلّباً في العمق) كما أنَّه (لم تعد العائلة تؤدي، بحالتها الراهنة، الدور الاجتماعي الذي كان يبرر وجودها، ويقوم على توريث الأولاد ثقافة وأسماً). ▶